[284] فهذا العلم دين. والمجلس العلمي كمجالس العادبدين. والشيخان، وإن خالفتهما نظريات الشيعة، محل إجلال المسلمين. وكمثل الشيخين في حفظ الكرامة. عثمان بن عفان. وهم جميعا - كعلى بن أبى طالب - أصحاب بل أصهار لصحاب الشريعة. وتعليم الشريعة أول أعمال الإمام. والإمام سيد عصره. لا تسقط من حضار مجلسه كلمة نابية. بهذه النزاهة الفعلية والفكرية، وبالإخلاص للمعرفة. والتزام قيم الإسلام، استعمل الإمام الصادق " العقل " أصلا من الأصول، إلى جوار القرآن والسنة والإجماع. * * * والنص على العقل واستعماله مستمد من القران الذى طالما خاطب فطرة البشر " لتعتبر " بما تدركه الحواس من آيات ا، وتتدبرها، وتستصحبها، لترى آلاءه على عباده. وتشهد تقديره وتدبيره. فتقنعهم بوجوده ووحدانيته وقدرته، فتصبح الدليل ما بعده دليل (1). وكما استعمل " الصادق " العقل، استعمل الحرية، التى منحها القرآن للإنسان: لا يكره الناس على أن يكونوا مؤمنين، ولا يستعمل في جدالهم إلا التى هي أحسن. ولا في وعظهم إلا الموعظة الحسنة. حتى ثبوت الألوهية لا يرضاه ا بإكراه. والعقل لا يعمل إلا حرا. وإذا أكره تعطل أو انحرف. والجدال بعنف تعسف. و للعقل كرامة. والكرامة هي الحرية. والاعتبار بالآثار والأشياء المحيطة بالناس، بالمشاهدة والاستخلاص، ثم الحرية والأمانة في التفكير والتقدير. أي النزاهة الفكرية. هما صميم المنهج. وهو لا يتجلى في الدلالة على ا جل ثناؤه. إليك مثلا من زنديق تحداه بقوله: كيف يعبد ا الخلق ولم يروه ؟ - قال الصادق: (رأته القلوب بنور الإيمان. وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان. وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف. ثم الرسل وآياتها. والكتب ومحكماتها. واقتصر العلماء على ما رأوه من عظمته دون رؤيته).

_____ (1) (المنهج العلمي المعاصر مستمد من القرآن) للمؤلف مطبعة دار الاتحاد العربي صفحات 11 الى 54. (*)

_____